رابعًا: ما قيل في مدحهم والثناء عليهم:

كان (العقيلات) أكثر النجديين مسايرة للمستجدات وللأشياء الحديثة، فاختلطوا بالشعوب والقبائل في الشرق والغرب، وتعاملوا مع كل لون وجنس، فعرفوا كثيرًا عن العالم ومخترعاته، واكتسبوا ثقافةً منقطعة النظير، وواكبوا المدنية والحضارة، ولم يُلههم ذلك عن الالتزام بشعائرهم الدينية، والتحلي بالآداب والأخلاق الفاضلة. وكل من رافقهم من جميع الأقطار العربية، وغير العربية، من المسلمين وغيرهم، رحالة كانوا أم تجارًا، قد شهد لهم بحسن الخلق وبالعقل الراجح، والرأي السديد، وبالشجاعة والأمانة والحلم، والتعاون والإيثار والشيم العربية الأصيلة.

قال الشاعر حمود بن مزيد العنزي:

تعلمت منهم الصبر والمرجلة وحفظ الصلاة

أهل القصيم طيبين ما مثلهم بالعقيدة

قال الرحالة لوي جاك روسّو القنصل الفرنسي: «إن (العقيلات) شجعان حقًّا، وشجاعتهم معروفة عند الجميع حتى استحقوا بكل جدارة اسم (أسود الصحراء)، وأمانة (العقيلات) فلا غبار عليها في نظر الجميع ولا مجال لإفسادهم، فما يودع عندهم فهو في مكان أمين لا خوف عليه؛ لأنهم يعتنون به، ويدافعون عن أموال الآخرين كما لو كانت أموالهم الخاصة بالذات».

وقال أيضًا: «(العقيلات) معروفون بقناعتهم في المأكل، وبساطتهم في التعامل والعادات، وبتمسكهم في دينهم الإسلامي بلا تزمت، والذي يعجبني فيهم أنهم لا يستغربون من الأجانب، بل يتعاطون معهم بالاحترام، لا بل أقدر أقول بحب، ويذودون عن الغرباء بكل ما عندهم من عزيز[1]».

وقال موريزي: «إنه استطاع أن يعوض نقص معرفته باللغة العربية باستعمال اللغة التركية التي يعرفها الكثير من (العقيلات) كما يعرفون لغتهم. من الثابت لدينا أن (العقيلات) كانوا من أوفر رجال نجد ثقافة، وأكثرهم سعيًا وراء المعرفة».

---

(١) الرحالة (لوي جاك روسّو): رحلة إلى الجزيرة العربية، سنة ١٨٠٨م، ص٦١- ٧١.

يحكي أحد الرحالة من الذين توثقت صلاته بعقيل، فيقول: «إنهم يستعملون المعاجم، ويقرؤون معلقات الشعر الجاهلي، و يتحدث البعض منهم اللغة الإنجليزية»[١].

وقال الرحالة هنري ليارد: «إن (العقيلات) يهتمون بمرافقهم، ويدافعون عنه في رحلاتهم، ويعاملونه بلطف». وذكر أنه اصطحب اثنين من رجال (العقيلات)، يقول: «في الليل كان مرافقاي حذرين جدًّا، فكل شجرة يأخذان حذرهما منها، أي من الذي وراءها، كانا يسترقان السمع، حتى يبدو الحفيف لهما وكأنه حوافر الخيل، ولم يكن ذلك الحذر وليد خوف، وحين أدركت كل هذا الحذر نمت آمنًا»[٢].

وقال الرحالة ألأمريكي جون دوس باسوس في مذكراته: «إن (العقيلات) قدموا من بلاد نجد المملكة العربية، وهم الآن غير موجودين بعد قيام الدولة السعودية، وهم رجال مقاتلون أشداء، ذوو نخوة وشهامة، ويعرفون كيف يتعاملون بحرفية مع الإبل، ولهم علاقات قوية جدًّا بالتعامل عبر الحدود المجزأة مع شيوخ القبائل وممثليهم بالصحراء».

وقد لاحظ أن (العقيلات) يأكلون قليلاً وبعناية شيئًا من التمر والرز المناسب للصحراء العربية، ومن طباع (العقيلات) أنه شيء غير مستحب أن تأكل أكثر من الشخص الذي بجانبك.

وقال: «إن (العقيلات) أطيب أناس وأكرمهم قابلتهم في حياتي؛ لأنهم ينظرون للشخص نفسه، وليس إلى ما كان، وكل فرد منهم يعتز بنفسه وبأهله وبقبيلته»[٣].

ويذكر الرحالة وللفرد بلنت وزوجته بلنت: «إن العقيلي الذي رافقهم أحسن الذين تعاملوا معهم أخلاقًا، وأعلاهم همة، وأكثرهم أهلاً للثقة، وله خيال خلاّق، وذكاء دفّاق»[٤].

وقال العقيلي الأستاذ الأديب المؤرخ سليمان الدخيل صاحب (جريدة الرياض) ومُنْشِئها عن (العقيلات): «أهل القصيم (العقيلات) ليسوا كأهل الديار الأخرى، فلقد دخلوا بتجارتهم البلاد الكثيرة من الأصقاع المتمدنة كالهند ومصر والشام ولندن

(١) نجديون وراء الحدود: ص١٨٧.
(٢) هنري لايارد: مغامرات في وقت مبكر في بلاد فارس وبابل، ص٣٠١.
(٣) مذكرات جون دوس باسوس: ص١٢٢.
(٤) نجديون وراء الحدود: ص ١٨٦.

ومدن أمريكية، وتجد بعضهم قد توطنوا تلك الربوع، كما احتلوا بلاد العراق كبيرها وصغيرها، ولقد تقدموا في التجارة أحسن من غيرهم بكثير، وكذلك قُلْ في العلوم على مختلف أنواعها، وتشعب أفنانها، كل ذلك في البلاد المختلفة المذكورة، كما في ديار قطرهم الواسع، فإنك لا تسير إلى بلدٍ إلا وتجد فيه منهم نفرًا يتعاطى الأمور التجارية غير غافل عن العلوم المعروفة في تلك البلدة مقامه، ولهذا إذا تيسر لك، فدخلت بلادهم (القصيم) ترى فيهم هذا يكلمك بالتركية، وذلك يطارحك الكلام بالفارسية، وتسمع واحدًا يذاكرك بالهندية، ويقبل إليك آخر يفاتحك بالإيطالية، ويقترب منك صديق كتب يخاطبك بالفرنسية، إلى غير هذه اللغات من أردوية وتامولية وإنجليزية»[1].

وقال الرحالة داوتي، وهو يصف أعيان بريدة بأنهم «يتزيون بزي بلاد العراق، وأن كثيرًا منهم هم من أصحاب الإبل»[2].

وذكر توماس لورنس العرب في كتاب (أعمدة الحكمة السبعة): «إن رجال (العقيلات) مسرفون في أناقتهم، وينفقون أموالهم على الملابس وتزيين شعورهم لتصبح مشعة»[3].

قال المؤرخ الأديب محمد كرد علي في مذكراته عن رحلته مع (العقيلات) وكيف ساعدوه على عدم الوقوع في قبضة الحكومة التركية: «وسعدت في هذه الرحلة أن رأيت بين الشام ومصر صورًا مصغرة من عيش أهل جزيرة العرب نجد، وذلك باختلاطي مع تجار الجمال (عقيل) ورعاتهم، وكلهم نجديون (عقيل) لا يعرفون الفضول، وما رأيت أحدًا سأل خويي العقيلي عبدالعزيز المحيسني عني بالإشارة ولا بالعبارة، وكانوا في كل صباح ومساء يجتمعون معنا، ونجتمع معهم لشرب القهوة والشاي معًا، وحديثهم في البعير وسوقه ورعيته وثمنه ورواجه وكساده».

ولم أسمع في أربعة عشر يومًا (أي من الشام إلى مصر) بلياليها كلمة هجر وبذاء ولا تجديفًا ولا لعنًا، ولا نميمةً ولا غيبة ولا كذبًا ولا منكرًا، وكان أولئك (العقيلات) مواظبين

(١) الصحفي السياسي المؤرخ: ص٥٠.
(٢) دوتي: في صحاري جزيرة العرب، 2v0is، لندن، ١٨٨٨م، المجلد p.9.
(٣) لورنس العرب: أعمدة الحكمة السبعة، ص٤٧٦.

على صلواتهم، يتيممون بالرمل إذا أعوزهم الماء، ولا يسرفون فيه إذا وجد، وأنست بلهجتهم وفيها كثير من الفصح ولها رنة تطربك»[١].

وقال الرحالة الكولونيل لجمن: «إن (العقيلات) تجارتهم في الإبل، لقد قابلت أحد هؤلاء التجار قد سافر إلى إنكلترا وفرنسا وأمريكا»[٢].

وقال الرحالة ألوس موزيل عام ١٩٠٨م وهو في الجوف: «سمع العقيلي المعاملة السيئة التي تعرّضت لها، وغضب غضبًا شديدًا، وأخذني تحت حمايته فورًا، أي إنه عرض لي خدماته».

وقال أيضًا: «يستأجر العقيلي شبابًا رعاة لقطيع الإبل من القبيلة التي يشتري منها في ذلك الوقت، كثير من الرعاة يرافقون قطعان الإبل للعقيلي حتى مصر (أي بيعها). وفي طريق العودة يخبرون قبيلتهم عن الأشياء الجميلة التي رأوها، أو تعلموها في رحلتهم من (العقيلات)».

وقال أيضًا: « وبعد الظهر في أثناء المسير في الحماد رأينا إلى الغرب منا سحابة غبار رقيقة، وبعد عدة دقائق صرخت لمرافقي: (هناك ركاب إبل أمامنا) وتبين أنهم عقيل تجار الإبل، في طريقهم إلى مصر ودمشق»[٣].

قال المؤرخ الأديب حافظ وهبة: «تقع القصيم في طريق القوافل من مكة إلى بلاد النهرين، وسوقها التجارية نافقة، وتعتبر بلاد القصيم أكثر بلاد العرب الداخلية اتصالًا بالعالم الخارجي، وأهلها من أذكى أهل نجد، وأرقاهم طباعًا، وأكرمهم خلقًا، وأسخاهم يدًا وأكثرهم أسفارًا للخارج، وأكثر التجار النجديين المعروفين بـ (العقيلات) في مصر والشام والهند والعراق من أهل القصيم، وبها بعض المدارس التي تعنى بالعلوم الدينية، وبها بعض العلماء المتبحرين في فنون الفقه والعربية»[٤].

قال الشيخ سليمان بن عبدالله العيد: «عقيل هؤلاء معروفون، فهم على درجة عالية من مكارم الأخلاق، وبعيدون كل البعد عن الرذيلة، وسمعتهم عالية عند الحاضرة والبادية،

---

(١) مذكرات الأديب المؤرخ محمد كرد علي.

(٢) رحلة الكولونيل لجمن في جزيرة العرب.

(٣) الرحالة (ألويس موزيل): في الصحراء العربية، ص١٩٧، ص٧٦.

(٤) حافظ وهبة: جزيرة العرب، طبع سنة ١٣٥٤هـ. بتصرف.

ولهم مواقف مشرفة، ومزايا يصعب عدها. والرجل الذي يمشي معهم يربونه أحسن تربية، تجد الواحد منهم لا يهمه شيء، معروفون بالإقدام على المصاعب؛ فالرجل لا يخيفه شيء، ولا يهمه تخطي المصاعب والإقدام، ولا يتقاعس عن المهمات والملمات مهما كانت»[1].

وسمعت بعض كبار السن يذكر أن **الأمير سعود بن عبدالعزيز الكبير** قال، وكان واقفًا إلى جوار الشريف، عن (العقيلات) للوفاء: «يا سعد اللي أنتم معاه».

قال شيخ الدهامشة من عنزة برجس بن مجلاد الملقب بـ (غدير الموت) عن (العقيلات): «إنهم أهل كرم وجود ومْعَنا»[2]. توفي ابن مجلاد عام ١٢٧٥هـ.

قال الأستاذ عبدالعزيز عبدالغني: «عمرت طريق أرض الرافدين بهؤلاء (العقيلات) الذين تمرسوا على الأسفار، وألِفوا مشاقّها، وخبروا دروبها، وعجموا سكان الأرض التي يجوبونها، وعرفوا قبائلها، وكان لهم فيها وفي شيوخها أصدقاء أوفياء، لم يكن للعقيلات في تلك القبائل أعداء، إنما كان للقبائل فيهم فوائد لا يدركونها عند غيرهم».

وقال أيضًا: «إن (العقيلات) هم أول من عرف مهنة الجندية من النجديين، والتزم بانضباطها. لم يكونوا مثل من يحارب من أجل المغانم والمكاسب والسلب، إنما سمعًا وطاعة والتزامًا بقوانين المهنة وحب الوطن»[3].

قال الأديب خليل الروف في رجال (العقيلات): «هؤلاء الرجال هم من أشرف رجال القصيم وأكثرهم طموحًا وشغفًا بالتجارة والمعرفة والسفر والترحال المستمر، فهم يمارسون تجارة الإبل والخيل، يشترونها من مكان تتوافر فيه، ويبيعونها في مكان آخر مثل بلاد العراق وبلاد الشام والبلاد المصرية، لم يكن رجال (العقيلات) النزيهون الصادقون يوثقون تعاملاتهم بأوراق وشهود، فأوراقهم كلمة صدق منهم، وشاهدهم الله سبحانه وتعالى، فليس هناك مجال للخداع أو الكذب أو الظلم بينهم، وكُنت أحضر مجالسهم كل

(١) معجم أسر بريدة: ج١٦، ص٤٢٩.
(٢) شريط كاسيت بصوته من الأستاذ عبدالله بن عبدالعزيز التويجري مدير التطوير الإداري بإمارة عرعر.
(٣) نجديون وراء الحدود: ص٢٤٥.

ليلة في الشام أنصت إلى أحاديثهم، وأتعلم منها القيم والمبادئ والصدق في التعامل، كُنت أستمتع أيضًا بحكاياتهم وطرائفهم»[1].

قال الدمشقي عمر رضا كحالة: «القصيم مشهورة في الأيام القديمة أيام القوافل البرية بتجارتها الواسعة مع الخارج والداخل، فترحل القوافل إلى اليمن بطريق وادي الدواسر، ووادي نجران، لجلب البن الجيد وإرساله إلى الكويت والبصرة، وبغداد، وجبل شمر ومكة والشام: ويجلبون إلى الشام ومصر الخيل والإبل... إلخ»[2].

قال الشيخ عذب الحديث عبدالعزيز بن سعد العامر: «بعض الصفات العالية والأخلاق الحميدة التي كان يتمتع بها رجال (العقيلات):

- الكرم والشجاعة.
- الاستقامة والمعاملة الحسنة.
- الصدق والأمانة: ما جعل المسؤولين في بعض الدول العربية يشهدون لهم بها، ومن حكام الأردن الذين يحكمون لبريطانيا منهم (قلوب باشا) الذي سماه عقيل بـ (أبو حنيك) ومنهم لورنس، تعرض بعض عقيل لمشكلات لفقت عليهم، وعندما احتكموا ثبتت براءتهم بشهادة الحكام.
- العبادة والزهد مثلاً، عندما ضلت قافلة (العقيلات) في الصحراء في فصل الصيف، فاستغاث منصور الشريدة إلى الله، فأغاثهم الله.
- فهمهم لدينهم وتمسكهم بالسنة النبوية على مذهب الإمام أحمد ابن حنبل. ومن ذلك ما شهد به لهم بعض علماء الشام، ومنهم العالم الجليل (شعيب الأرناؤوط) حيث يقول: قدمنا من ألبانيا ونحن أحناف وصوفية، فما عرفنا السلفية إلا من هؤلاء». يقصد (العقيلات).

قال الأديب فهد المارك: «سكان القصيم هؤلاء هم أكثر أهل البلاد إقبالًا على الأعمال التجارية، كما كان لهم اتصال مستمر بالبلاد العربية، حيث يجلبون الإبل والغنم

(١) نجدي في أمريكا: ص٥.

(٢) عمر كحالة: جغرافية شبه جزيرة العرب، ط٢، ١٣٨٤هـ، ص١١٥-١١٦.

openkanal.com

مـن الجزيـرة العربيـة إلى تلك البـلاد، فإذا باعـوا مواشيهـم تبضعوا بثمنهـا الأشياء التي يستهلكها أهل بلادهم»[1].

قـال الأديب يوسف بن حمـد البسام: «يقع القصيم في طريـق القوافل ما بين مكة وبلاد ما بين النهرين. وأهل القصيم من أذكى أهل نجد وأكثرهم اتصالًا بالعالم الخارجي، وأكثرهـم أسفـارًا للخارج، وأكثر التجار (العقيلات) النجديـون المعروفون في مصر وسوريا والهند والعراق من أهل القصيم»[2].

قـال الأديب الشاعر محمد حسني أفندي العامري في (العقيلات): «وقد شاهدت تجـار الإبـل من أهل نجد في أثناء مرورهم على السويـس، ومع كونهم في المنزلة من أواسط قومهم إلا أنهم خيرة الرجال، ومثال الكمال. وزيهم الكوفية والعقال حتى الرعاة المرافقون لهم بهذه الصفات».

وطريق تجارتهم هي أن يسيروا من نجد بالإبل والخيل العربية قاصدين الشام، وما جاورها ومنها إلى غزة ثم إلى القطر المصري عن طريق الإسماعيلية. وبعد المبيع يقصدون بلادهم، فيسافرون بحرًا من السويس إلى ينبع أو جدة.

ومنهـا بـرًا إلى المدينة المنورة أو مكة المكرمة ثم إلى ديارهم النجدية، وهو سفر طويل محفوف بالأتعاب والأخطار.

وقـد ذكر الأديـب محمد حسني أفندي أنـه شاهد (العقيلات) وهـم يصنعون القهوة، ووصـف طريقتهـم وصفًـا دقيقًـا نـورده في الفصـل الخاص بمستلزمـات القهـوة، وذلك في الفصل الرابع من هذا الجزء.

ثـم قـال: وأقـول: إن القهـوة نعمـة مـنَّ الله بها علـى العرب لكـثرة أسفارهـم، وعسر المعيشـة عندهـم، فهـي والإبـل مـن صفاتهم الملازمـة لهم مـا داموا يألفـون سكـن البيداء، وعيشة الصحراء. فتأمل فيما مضى ترى أخلاقهم تُوجب الرضى:

---

(١) فهد المارك: من شيم العرب، ج٣، ص٨٩٤.

(٢) يوسف البسام: الزبير قبل خمسين عامًا مع نبذة تاريخية عن نجد والكويت، ص١٤٥.

قل بهم ما شئت واذكر فضلهم إن كل الصيد في جوف الفرا
كرموا أصلاً وطابوا مغرسًا وعلو قدرًا وجادوا عنصرا

ومن صفاتهم كرم النفس ومكارم الأخلاق، فهم يهتمون بمواساة الجار، وحماية الدخيل، ونصرة المستنصر، وحفظ العهد، ووفاء الوعد.

وهذه الخصال باقية فيهم للآن واختبرتها بنفسي في عرب نجد»[1].

«ومن نواحي نجد ناحية القصيم وهي من أحسن نواحيها وأهلها من أشجع أهالي نجد[2]».

(١) محمد حسني العامري: نزهة الألباب في تاريخ مصر وشعراء العصر ومراسلات الأحباب، سنة الطبع ١٣١٤هـ، ص١٥ - ١٢٥.

(٢) محمد شكري الألوسي: تاريخ نجد، ص ٣٣.

obeikandl.com